

العلاقة التربوية الاجتماعية بين أفراد الأسرة الجزائرية.

د/حماس الحسين

قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا

جامعة الجزائر 2

ملخص:

يمكن ملاحظة ثلاثة مستويات عن العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة الجزائرية. المستوى الأول ويكون بين الوالدين حيث الأب هو الأمر النهائي في حين تختص الأم بتنفيذ الواجبات المنزلية. أما المستوى الثاني فيتعلق بالعلاقة بين الوالدين والأبناء حيث يعمل الأب جاهدا على ترسيخ دوره الثقافي للأبناء وتكون الأم الملجأ الذي يعود إليه الأبناء عند الحاجة إلى الحنان أو في بعض الأحيان للتعبير عن مشاعر الغضب من قوة الأب، أما المستوى الثالث فيخص العلاقة بين الأبناء أنفسهم الذين نجدهم يسلكون بطريقة غير شعورية حسب موروثهم الثقافي أيضا.

الهدف من هذه الدراسة هو محاولة توضيح هذه العلاقات من الناحية النفسية الاجتماعية.

أ- العلاقة بين الأبوين: الزواج هو الوسيلة الجماعة المنزلية في الاحتفاظ وتثبيت المعايير التي تتمسك بها (carmel camilleri, 1973:13)، ولهذا يلاحظ أن العلاقة التي تربط بين الزوج وزوجته في الأسرة الجزائرية تخضع لظروف اجتماعية معينة، تؤثر على نوعيتها وعلى كيفية حدوثها. فمثلا الظواهر الاجتماعية السائدة في

العائلة الجزائرية- سبق ذكرها في القسم الأول من الفصل الثاني- ولاسيما ظاهرة التزويج التي يقوم بها الأهالي وظاهرة التفرقة الجنسية والإطاعة بين الأفراد. لها أثرها الكبير على نوع العلاقة التي ستكون بين الأبوين مستقبلا. فإذا علمنا أن أغلبية الزيجات تحدث عن طريق موافقة الأهل يفهم من هذا أن للجماعة العائلية وزنا على طبيعة وسيران العلاقة بين الزوج وزوجته، وإذا علمنا أيضا أن التمييز بين ممثلي الجنسين مرسخ بصفة قوية مثل ذلك مثل الطاعة بين الأفراد في الأسرة الواحدة، ندرك جيدا نوعية العلاقة التي ستقام بين الأب والأم.

وما يلاحظ في المجتمع الجزائري أن الرجل يظهر رجولته وسلطته عن طريق تصرفاته مثل كلامه، غضبه وذلك حتى يؤكد لها على جميع أفراد أسرته (nefissa zerdouni;1982:169-170)، فالأب هو المسير الأول لمصالح العائلة والمحافظ على نظام قيمها وهو المتخذ لكل قراراتها والتعامل مع مختلف قضاياها والمتصرف في معظم إمكانياتها المادية وغيرها.

وكذلك يتحكم في كل شيء تقريبا: المنزل، الزوجة، الأبناء. فالسلطة الأبوية هي سلطة وراثية والرجل الذي لا يستطيع أن يتحكم لا يعتبر رجلا (nefissa zerdouni,1982:162-163) وعلى هذا الأساس يظهر الأب أنه مركز القرار في جماعته العائلية بصفته المسؤول الرئيسي المباشر على نجاح الحياة الزوجية والعائلية وذلك عن طريق مساعدة الأب ومعاونته في تحقيق أهم الأهداف المراد إنجازها. لذلك تجد معظم الأمهات في الأسرة الجزائرية تهتم بالأشغال المنزلية من طبخ وغسيل وتنظيف...- فضلا عن تربية الأبناء ورعايتهم، والالتزام بالطاعة والخضوع لأوامر الزوج. الأم تقوم بكل هذا من أجل تهيئة جو عائلي مناسب لحياة مستقرة هادئة لكل أفراد العائلة.

بما أن الزوجة إذن محدد في بداخل منزلها ويتنظر منها أن تعلي من مكانة زوجها وتؤمن سعادة واستقرار بيتها فهي شرف زوجها والمحافظة على بيته

(genevois, 1966:17) هذا المثل القبائلي الذي يقول: "يُيف ثمطوث إيجرزن ولا ثيوغا إيجرزن" (genevois h, 1966:8) يلاحظ من خلال ما سبق أن للأب والأم مهمات معينة يقوم بها كل على حدى. فقد اتضح أن صفة التعاون ضعيفة بصفة عامة فيما يخص الأشغال المنزلية. فاتجاه التخصص في القيام بالمسؤوليات والوظائف المختلفة هو الطابع الغالب، الشيء الذي يبين تمايز الأدوار التي توكل إلى كل واحد منهما فللأب وظائف واختصاصات تختلف عن تلك التي توكل إلى الأم (عماد الدين إسماعيل، 1974: 378)، ويعني هذا أن العمل مقسم وبصورة واضحة بين الجنسين في كل من عالم المنزل وعالم العمل خارج المنزل (سنة الخولي: 81)، الأمر الذي يوضح أن العلاقة التي تربط بين الزوج وزوجته خاصة على مستوى الأشغال المنزلية منفصلة. فكل زوج له وظيفته الخاصة التي تكون في الغالب مناسبة وملائمة لجنسه والملائمة لنوع التدريب الذي تلقاه.

ولكن العلاقة الموجودة بين الأبوين في الأسرة الجزائرية أعمق من هذا بكثير فإلى جانب الوظيفة الموجودة بينهما، هناك علاقة ثانية لا يمكن ملاحظتها بسهولة، فهي علاقة ضمنية خفية لا يمكن اكتشافها إلا إذا عايش الإنسان فعليا وواقعا معظم التفاعلات الشفوية والسلوكية التي تحدث بين الأم والأب وبين أم الزوج وكتتها.

فالزوجة التي تعيش مع أم زوجها يجب أن تقبل هذه الوضعية من خضوع لتلك الأم في كل الأعمال حتى في تربية أبنائها وإلا فمآلها الطلاق. الأب هنا يستطيع أن يترك أبنائه وزوجته ولكن الأم لا، اتجاه الزوج هذا له معنى وهو المحافظة ليس فقط على الشرف والتناسق العائلي ولكن أيضا الاحترام اتجاه الأم (khadija ;1990: 118)

انطلاقا من هذه الحالة يستنتج أن: الزوجة يمكن أن تعيش في هناء وبقية أفراد العائلة يعيشون في محنة، وهذا يعني أن الأولياء المحتاجين لا يستطيع ابنهم أن يساعدهم فهو يبقى في حيرة خطيرة لأنه يعتبر ملك لأبنائه قبل أن يكون ملك

لزوجته (amghar azemni ; non date: 32)، وبسبب هذا تجد الأب كثيرا ما يعاني من وضعيتين متعاكستين.

فإذا كانت الأم والجماعة الأبوية تعمل على اتهام الزوج بأنه ترك نفسه تحت تأثير زوجته فإن هذه الأخيرة تعمل بدورها على جعل زوجها يشعر بأنه ناقص من حيث الرجولة وذلك لخضوعه التام وغير المشروط للقرابة العائلية (carmel camilleri 1973: 28). وتجدر الإشارة إلى أن هذه الوضعية يؤثر عليها سببان اثنان يجعلان الجو المخيم على العلاقة بين الأب وزوجته وبين الحماية وكتتها مشحون بالتحفظ وإن لم نقول بالتوتر. الأول يظهر على الشكل التالي: وهو أن الزوجة الحديثة ليست هي العائلة ولا تعتبر فرد مندمج إلا عن طريق زوجها. هذا الأخير لم يتزوج إلا بهدف واحد وهو مصلحة الجماعة العائلية الجزائرية لا تصبح امرأة إلا بعد الإنجاب.

وكتيجة لهذه الأوضاع التي يتخبط فيها كلا من الزوجين، نلاحظ بعض السلوكات التي تقوم بها خاصة الزوجة اتجاه زوجها حتى تسيطر عليه وإن كانت هذه السيطرة لا تظهر للعيان بصورة جلية.

فإذا حكمنا على المظاهر تجد الزوجة تبرهن حقيقة على الطاعة العمياء لزوجها ولكن هذه الطاعة تناسب أكثر الحسابات التي تهدف لقضاء حاجة ما. فطاعتها وسيلة لربح ثقة زوجها. والمثل في هذا الصدد يقول: أبنيك حسب التربية التي تعطيه، الزوج حسب العادات التي ترسخينها فيه فهي تطبق جيدا كل شيء لا يجب أن ترجعي إلى منزل أبيكي، تجني الطلاق بكل وسيلة. إذا علمت بأن زوجها يحب أبناءه فهي لا تعمل على إزعاجهم تجلب محبته إليها (andre demeerseman; 1967: 71)، وبالتالي يمكن لها أن تجذبه إلى صفها وتقنعه على تحقيق كل ما يريد.

وكما وضح سابقا يظهر الأب في الأسرة الجزائرية أنه متحكم في كل شيء وهو السيد المطلق في المنزل.

إذا غالبا ما يوصف بأنه المسيطر والأبوي ولكن العكس صحيح أيضا والشيء المساعد على إظهار المرأة خاضعة في نظر العامة هو احتجابها عن الساحة الاجتماعية. (slimane medhar ;1988: 84)

ولكن بالرغم من ظهور المرأة أنها مبعدة عن النشاطات العمومية إلا أنها تسكن الرجل بمعنى الكلمة فاهتماماته الجنسية ذات درجة عالية (slimane medhar ;1988: 139)، والمرأة منذ أن تتزوج تعرف كيف تستعمل مثيرات الجنس وحنان الأبناء حتى تتحكم في الإحباط العاطفي للزوج الشيء الذي يجعل خضوع الزوج لزوجته أكيد.

أما فيما يخص العلاقة العاطفية بينهما فهي مقموعة ولا تظهر خاصة أمام الآخرين، بحيث، تلاحظ الزوجين لا ينادي بعضهما البعض بالاسم بل عن طريق الإشارة أو كلمة "يا امرأة يا رجل" والسبب في ذلك هو أن الحياة الاجتماعية اليومية أقامت حواجز بينهما إذ لا يجب التحدث أمام العامة. ولكن بالرغم من هذه القيود فالزوجان مقتنعان بضرورة إخضاع رغباتهما لمتطلبات جماعتهما (Medhar. Slimane, 1988:87) ومن الضغوطات التي تمارس على الزوجين الحث على إنجاب الأبناء بصفة سريعة بعدد كبير فتواجد العدد الكبير من الأبناء يقلص من قوة علاقة الزوجان والرباط العاطفي بينهما يكون ضعيف" (Chelli Mounire, 1990m101).

وتلخيصها لكل ما سبق يمكن القول: أن الرجل يظهر أنه يرأس الجماعة في حين أنه مرتبط عاطفيا بأمه -التي تعتبر امرأة- وأيضا مرتبط جنسيا بزوجته -التي تعتبر امرأة أيضا- هذه الأخيرة تعتبر أما أيضا هي بصدد تشكيل جماعة فرعية جديدة والتي هي زوجة ابنها: 'كنتها' (Medhar. Slimane:85).

ب- العلاقة بين الأبوين والأبناء: ليس من العلاقات الإنسانية بين شخصين مثل تلك التي هي بين الوالد والولد (أبا وأما- ابنا وبنتا) في نطاق الأسرة ولا من أماكن تعلم الحياة ونمو الشخصية كالبيت في أثره على الصغير بما للعلاقات في هذا الأماكن من طول مواجهة ومن روابط حميمة واتصالات حارة عميقة وتفاعل مشحون بالانفعال وتبادل عواطف مشوبة بالتعلق (كما دسوقي، 1979: 336) من هذا المنطق يمكننا أن نعي عظمة المسؤولية الملقاة على الوالدين في الهر على أبنائهما من كل النواحي الجسمية والسيكولوجية والاجتماعية.

وفي هذا الصدد يمنح المجتمع الآباء دور تنشئة أبنائهم على هدى ثقافته وقيمه، فتجعلهم يمثلون عناصر حضارته وينقلونها بدورهم من جيل إلى آخر وهذا هو الدور هو ضابط الاستمرارية الاجتماعية (زهير حطب وعباس مكى، 1985: 115)، وضمان لخضوع الطفل- الشاب مستقبلا- لقيم الجماعة، فالطفل كما هو معلوم في الأوساط الاجتماعية يعتبر الثمرة المنتظرة من الحياة الزوجية إذ أنه رجل الغد وأب المستقبل فرعايته إذن تصبح هدفا اجتماعيا ذا أهمية كبيرة، فالأبناء يشكلون نعمة كبيرة في المنزل.

الأب والأم يفرحان لولادتهم حتى وإن كانت لهما أسباب مختلفة بالنسبة للأب يشكلون تأمين الخلف بحيث لا يترك الغرباء يرثون مصالح العائلة وين أورثسعي تسربا، أوريتسغمي ذقثجماعت نغ أننغن ستخذعت بالنسبة للأم يشكلون تأمين استقرارها بحيث كلما زاد عددهم كلما أمنت استقرارها وأصبحت أكثر فأكثر سيدة بيت (Genevois H, 1966: 19-20)

ومن أجل هذا يقوم الوالدين بتلبية مجموعة واسعة من حاجيات الفرد الغذائية والتربوية والاجتماعية وتعويد عادات تتفق مع اتجاهات المجتمع ومعايير الأخلاقية والذوقية ومظاهر سلوكه العام.

والأسرة الجزائرية في هذا المجال تقوم بتأمين حاجات أولادها وتقرر مصيرهم وتوجيههم الحياتي -إعدادهم للمستقبل- ولكن الشيء الملاحظ هو أن تربية الأولاد من طرف الأب لا تكون ذات مدى واسع إلا بعد هؤلاء. لأن من قبل بلوغهم، الرعاية والتربية التامة تكون من طرف الأم. إذ تقوم هذه الأخيرة بتأديب الأولاد بدرجة تفوق درجة الأب ويظهر أن الأم. وضعها في المنزل وملازمتها للأطفال قد اعتبرت مسؤولة عن رعايتهم. (عماد الدين إسماعيل، 1974: 280). فائناء المرحلة الأولى من حياة الطفل، تظهر الأم استعدادها الكامل فهو في هذه العلاقة المباشرة تلعب دور الحامية والمغذية والمساندة بحيث تصبح شعار مرسى الأمن بالنسبة لكل أطفالها (Medhar. Slimane, 1988:87). إذ أن الطفل يعود دائما إلى أمه في حالة الخوف من العقاب.

ويجب أن نشير في هذا الإطار أن الثقل العاطفي الذي تستثمره الأم في علاقتها مع أبنائها. ينقل ابتداء من حدوثه مجموعة من التصورات والمفاهيم ذات العلاقة بالأمل والفشل والخوف المحدد من طرف ظروف الحياة. هذه العلاقة تكون نموذج الأوضاع والحالات التي سيواجهها الفرد: كلما اتجه نحو الخارج ازداد عدم الأمن كلما رجع إلى الداخل يعود الأمن أكثر، في النهاية عندما نعرف أن هذه العلاقة قد تكونت عندما كان الفرد يسبح كلية في اللاشعور نستطيع أن نقيم الأهمية التي تكون لها في طول حياته". (Medhar. Slimane, 1988:75).، هذا ما يفسر حب الأم لأبنائها وتقييدهم بواجب الوفاء وعرفان الجميل لذلك الكائن الذي ضحى بنفسه وشبابه من أجل سعادتهم. فلا غرابة إذن أن نلاحظ أن الأم في الأسرة تحتل عند الطفل والبنات مكانة عالية ناتجة من الألفة والمودة الحميمة (Zerdoumi nefissa, 1988:42)، فهي تمثل بالنسبة لهما الشيء الغالي الذي تهون أمامه كل تضحية. وإذا سلمنا بأن علاقة الأم بأبنائها على هذا الشكل فعلاقة الأب تختلف نوعا ما عنها فهي أكثر تحفظا ويسودها نوع من الاحترام المشوب بالخوف والمحبة في نفس الوقت.

فمثلا الأب لا يسمح لنفسه أن يتكلم مع ابنته أو يقدم لها ملاحظة في أمر من الأمور خاصة تلك التي تتعلق بظاهرة الحياء أو المسبية للحشمة. فهو يعلم الأم حتى تقوم بذلك ابتداء من سن البلوغ تقام هناك مسافة تفصل بين البنت وأبيها. ومن ثم نلاحظ الأب يتخذ نحو ابنته اتجاه حذر في مراقبتها وعن طريق أمها يكون التأثير عليها إذ يتحدث الأب مع زوجته فيما يخص نواياه عن ابنته: ابنتك أصبحت كبيرة الآن يجب أن تتوقف عن اللعب والخروج لوحدها، وأن لا تلبس هكذا. لكن الأم تعرف كيف تصدى لهذا وتجيبه بهذا القول: ماذا تعلم أنت عن هذه الأشياء هذا من جهة ولكن من جهة أخرى تعمل الأم على إعطاء تعليمات شديدة لابنتها حتى تعدل من سلوكاتها وتصرفاتها. بصفة عامة الأم تعمل على نقل أوامر الأب للبنت وفي حالة رفض هذه الأخيرة الطاعة، تهددها بإعلان ذلك لأبيها الأمر الذي يحدث إلا في الحالات الخطيرة (Medhar. Slimane, 1988:789- 788).

ومن هذا نلاحظ أن علاقة الأب بابنته خاصة عندما تكبر تكون متحفظة إن لم نقول سطحية تتمثل في إبداء التحية وتقديم الطعام -إلا إذا كان الأمر يتعلق بقضية ذات أهمية كبيرة- أما فيما يخص علاقة الأب بالابن فهي تختلف كثيرا عن البنت إلا أن الابن له بعض الحرية في التعامل ولكن إذا تعلق الأمر بسر من الأسرار فهو يميل في مكاشفتها إلى الأم كوسيلة للحصول على قبول ورضا الأب عن هذا الموضوع أو ذاك. أما بالنسبة لاتجاهات الآباء نحو الأبناء في الأسرة الجزائرية، فلا يخفي علينا ما للوالدين من تمييز في معاملتهما بين أبنائهما الذكور وبين الإناث، إذ تجدهما أشد قسوة ودقة مع البنات أكثر من الذكور وكذلك فإن لائحة الممنوعات بالنسبة للفتاة أكبر وأطول من تلك المفروضة على الشباب.

فالأبوان يكونان لطيفين مع ابنتهم عندما تكون مطيعة، عاطفية، حساسة، غير مستقلة برأيها وتأخذ بكلام والديها وأخيها ولا تخرج عن إطار تعليماتهما ويكونان قاسيان وشديدين عندما تكون عكس ذلك، وأما علاقة الأبوين بابنهما فإنهما يقفان موقف الانبساط والانشرار عندما يكون ابنهما شجاعا قويا يتخذ

المبادرات الشخصية، مستقلا في شخصيته. يضع الحرمات والموانع على أخته وتصرفاتها وينزعجان عندما لا يكون ذلك" (معن خليل عمر، 1980: 258) ومغزى هذا كله أن تطبيع البنت يختلف تماما عن تطبيع الولد وأن القيم التي يعكسها هذا التطبيع تخلق غمطين مختلفين للجنسين فالطفل في علاقته بالآخرين يعامل باعتباره ذكر معاملة تختلف عن تلك التي يعامل بها إذا كان أنثى" (عماد الدين إسماعيل، 1974: 310).

وعلى الرغم من هذا "ومهما كانت اتجاهات الآباء نحو أبنائهم لا يمكن أن ننكر ما للآباء من دور كبير في تربية أبنائهم. ويظهر ذلك في تعليمهم وتلقينهم الآداب والتراث الاجتماعي وتدريبهم ليكونوا مواطنين فضلاء، وتقويم اتجاهاتهم والحرص عليهم من مظاهر الشذوذ والانحراف، حتى يصلوا إلى دور النضج فيستطيعوا مواجهة الحياة وهم أصلب عودا وأقوى عزماً (مصطفى الخشاب، 1975: 124). لذا فالعناية الموفرة للأبناء تجعل من الأب والأم الشخصان ذوي القيمة الغالية من كل شيء آخر." والذي مازال آباءه على قيد الحياة بحمد الله ليلا ونهارا فعندما يكونان موجودين ينعدم القلق". وين يسعان يماس ثدر ولا ذ لجنـت أـتـسـزـفـر" لهذا فمن بين واجبات الأبناء نحو الآباء هو أن لا نهملهم "ألا أغـيـول أـقـتـكـرن باباس" إذ أن الحب الأبوي يترجم أولا عن طريق الطاعة، ورضا الوالدين يكون عن طريق طاعة أوامرهم، العمل على خدمتهم إتباع ما يريدون، جعل صديقهم صديق وعدوهم عدو، حيث يقال: إذا طلب منك فين فأعطيهما عينان. بالإضافة إلى الاعتناء بهم عندما يبلغون سن الكبر: "وين اورنخديم الخير ذيللوالدنيـس: أوريتساف الربح ذي دونيشيس" (Genevois.H, 1966: 32- 33)

وعلى هذا الأساس يتوجب على الأبناء أن يبرهنوا عن مدى احترامهم لأولياهم خاصة في سلوكاتهم وكلامهم. وذلك بإقامة مسافة احترام بين الأب والابن فلا يمكن مثلا لهذا الأخير أن يجلس وأباه واقف أو أن يدخن أمامه، فحريته مقيدة نوعا ما أثناء حضور أبيه.

واحترام الأب يظهر قبل كل شيء بالصمت عندما يتدخل وهذا الصمت له معنى هام جدا في علاقة ابن - أب فالطفل لا بد عليه أن يراعي حساسية الأب والخضوع لإرادته ولا يعيد النظر في قوله وهذا السلوك مثبت منذ صغر الفرد فالطفل يكون مستعد لتطبيق الأمر سواء عن طريق الصوت النظر أو الإشارة. (Zerdoumi nafissa, 1982: 166-167)، لأن الأولاد المهذبين هم الذين يطيعون آبائهم وأفراد عائلتهم بصفة عامة، وإذا ما حدث العكس فإن الوضع لا يصبح طبيعي بحيث أن عاصي الوالدين غير مقبول في المجتمع وينظر إليه نظرة سلبية إذ أن كل فرد يتعلم من تقاليد أن من يعصي آبائه سوف يعصونه أبنائه هو أيضا مثل ما فعلت لأمك وأبيك ومثل ما سيفعل لك ابنك، فسلطة أبة إذ أن كل فرد يتعلم من تقاليد أن من يعصي آبائه سوف يعصونه أبنائه هو أيضا مثل ما فعلت لأمك وأبيك ومثل ما سيفعل لك ابنك، فسلطة الآباء لا يمكن تفسيرها إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار القوة الأخلاقية ذات الجوهر الديني التي تؤثر على سيرة الأبناء ففضل الله مرتبط ببركة الآباء والتقاليد تريد اللعنة الأبوية والأموية أن تحدث ليس فقط في ما وراء (الآخرة) ولكن في هذه الدنيا أيضا (Robert descloîtres et Laid Dabzi, 1963: 35 -36).

كرا بين يتسعاصين الوالدينيس يتساو بتس داو افريس ذي دونيس وقبل لخرئيس.

إلا أنه بالرغم من هذه القيم والمبادئ التي تحت على الاحترام العميق والطاعة المطلقة للآباء لا تخلو العلاقة التي تربط الأبوين والأبناء من مشاكل وصراعات. فلا بد أن يرى الأبناء تزمنا وتخلفا في أبنائهم لنفس السبب (عائشة أحمد نحوي، 1990: 8). مثلا عندما يقدم الابن ملاحظة أو فكرة حول موضوع ما، ويكون الأب حاضرا في ذلك فإنه يذكره بهذا القول أو المثل العصفور يزقزق بوه هذا ما يعبر عن ضرورة احترام النظام المعروف في الأسرة متسامح طيب القلب ولكن إذا

تمادى الابن في المزاح والاستهتار فإن الأب يرفض بصورة عنيفة كل سلوك من هذا النوع أو أي تصرف بإمكانه أن يهدد نظام الطاعة والاحترام بين أفراد العائلة. ومن الموضوعات التي يمكن أن تكون مشكل بين الآباء والأبناء يمكن ذكر موضوع العلاقات بين ممثلي الجنسين قبل الزواج، والمقصود من هذا عدم سماح الأبوين لأبنائهم التماذي في الصداقة بين جنسين مختلفين أو الخروج في إطار جماعات مختلطة. ولكن في مقابل هذا تلاحظ ميل الشباب والشابات إلى تجاذب أكثر بعضهم ببعض الأمر الذي يؤدي إلى خلق صراعات بين وجهة نظر الآباء والأبناء في هذا الموضوع.

ضف إلى هذا هناك موضوع الحرية الشخصية والمتمثلة في قدرة ارتداء الأزياء حسب الذوق الشخصي بدون مراعاة القيود الاجتماعية السائدة في الأسرة وإمكانية المجاهرة برأي مناقض لرأي الأهل في أي قضية كانت مما يؤدي غالباً إلى اصطدام آراء الآباء بآراء الأبناء. إلا أن الشيء الملاحظ في الحياة الاجتماعية اليومية يبين أنه وإن كانت اتجاهات الشباب تظهر تجديداً لكل ما يتعلق بالحرريات الشخصية، فإنها مسيرة بنوع من المحافظة في مجال القيم والمعايير. (Martin, Segalen: 1980 ; 180)

ومن المشاكل التي يمكن أن تظهر على مستوى الأسرة هو ميل الأبوين إلى تفضيل أحد الأبناء على الآخر كتفضيل الابن البكر على الأصغر أو تفضيل الذكر على الأنثى. الظاهرة التي يمكن أن تخلق جو من عدم العدالة في التعامل مع البناء باعتبارهم مستقبلين لهذه المعاملة. فإنهم يكونون متيقظين للقدر الذي يناله كل منهم، وتتفاعل مشاعرهم وفقاً لما يحسونه من ظلم أو عدل، ثم يستجيبون بعد ذلك وفقاً لهذه الإحساسات استجابات تتفق والموقف القائم: قد تكون في صورة تمرد وعصيان، أو استكانة وخضوع، أو قيام مشاعر الحقد والغيرة فيما بين الأبناء بعضهم بعض" (مختار حمزة، 1959: 40) والجدير بالذكر أن هذا التفضيل له نتائج

سلبية على الأبناء فقد يعطي لأحدهم فرصة النمو الجيد والانطلاق الحسن بينما ينمو الآخر في جو مضاد يحس بالنقص والظلم.

بصفة عامة وكإستنتاج كلي لكل ما سلف ذكره: يمكن القول أن الوالدين هم أول من يتفاعل مع الطفل بدون شك، وبالتالي تستطيع أن تدرك مدى الأثر الذي يمكن أن تتركه شخصيتهما وسلوكهما في شخصيته وسلوكاته هو، إذ عادة ما يتوحد الطفل بشخصية والديه مما يؤدي إلى تبني كل قيمها ومعاييرها الخلقية والاجتماعية. الشيء الذي يؤمن استمرارية السياق الاجتماعي الثقافي والتربوي للأسرة والمجتمع.

ج- العلاقة بين الإخوة: مما لا شك فيه أن العلاقة التي تربط بين الوالدين والأبناء تؤثر بصورة قوية على العلاقة بين الإخوة بعضهم بعضا. فإذا كان التعامل الذي يحدث بين الأبوين وأبنائهما قائم على أسس صحيحة عادلة يشعر فيها كل طفل بالمساواة نحو أخيه في كل الأشياء.

فإن هذا يفسح المجال لنشوء علاقة متوازنة بين الإخوة وأما إذا كان التعامل عكس ذلك، فلا غرابة من أنت تلاحظ اختلال العلاقة بين الإخوة سواء كانوا صغارا أو كبارا من هذا يمكن التأكيد على أن الطريقة التي يستجيب بها الإخوة كل للآخر تعتمد إلى حد ما على الأسلوب الذي يعاملهم به الآباء (سواء الخولي، 1985: 292) بالإضافة إلى نوعية المعايير الاجتماعية التي تشربونها منذ صغر سنهم. والتي تبقى كنظام يتبعونه في مختلف سلوكياتهم وتفاعلاتهم الاجتماعية.

ففي الأسرة كما هو معروف يلاحظ تواجد ظاهرتا التفرقة بين الذكر والأنثى وأيضا التمييز بين الأفراد حسب السن لهذا فكثيرا ما يعامل الآباء أبنائهم طبقا لمضامين هذه الظواهر إذ أن القيمة التي تستند للطفل في الأسرة تتوقف على نوعية جنسه وسنه. فغالبا ما يرى الآباء في الذكر استمرارا لوحدهم تحليدا لهم، لذا

يعطي من الأهمية والاعتبار أكثر من الأنتى نفس الشيء إذا كان الابن كبير في السن فله من الامتياز والحظوة أكثر من إخوته الآخرين الأصغر منه.

وعلى أساس هذا التمييز بين أبناء الأسرة الواحدة من ناحية العمر والجنس، تنشأ العلاقة بين الإخوة ويحدث التفاعل بينهم تبعا لذلك التمييز. "فالأخ حتى وإن كان صغيرا يتحكم في إخوته، يستطيع أن يقدم لهم إنذارات وتحذيرات، يراقب سلوكهم، هيئتهم، طريقة تصفيف شعرهم عندما يخرجون إلى الشارع يعطي لهم الأوامر، يمنع عليهن تنقلات لا تعجبه. والأم في كل هذه الحالات لا تتدخل إلا لتدعيم ابنها حيث تقول: إنه أخوكم له الحق في ذلك" فهي لا تتدخل إلا في حالة تجاوزه الحدود. (Medhar. Slimane, 1988:787)، مما يؤدي بالأخت إلى أن تكون خاضعة لكل نزوات وطلبات أخيها فهي تستجيب لكل رغباته دون تردد، وإذا كان للأخت إخوة صغار فتعتبر المسؤولة عليهم بعد الأم، فهي وإن تحلت بنوع من الاحترام من طرف الآخرين فذلك ما هو إلا نتيجة لما تبذله من مجهود عليهم. إذ أن الأخوات اللاتي تكن أكبر سنا نوعا ما من إخوانهن - بنات في السن 14 فما فوق - تضمن أو تؤدي دور الحارسات أو المنشطات في اللعب للأطفال الأقل سنا منهن (Tchirin Mekideche, 1985: 108).

من خلال هذا نلاحظ ميل الإناث لتمثل للقيم والمعايير الأسرية في التفاعل مع إخوانهن، فهن يبرزن تأقلا مع الفكرة الاجتماعية السائدة حول دورهن الذي يتحدد بالقبول والتسليم حتى الخضوع بالعمل والخدمة من أجل إرضاء وتلبية حاجيات أفراد الأسرة عامة. والنتيجة المترتبة من ذلك هي الأخت تبدأ حياتها متخلقة عن أخيها الذكر بكثير في تنمية استقلالها وإبراز شخصيتها وإذا حاولت أن تفعل ذلك فإنها سيكبح جماحها دون شك.

انطلاقا من هذا يمكن القول أن علاقة الأخ بأخته يشوبها نوع من عدم المساواة، ونوع من الظلم والاستبداد والضحية غالبا ما تكون هي الأخت وبالتالي

تظهر قاعدة العلاقة بين الأخ وأخته على الشكل التالي: خضوع الأخت مقابل سيطرة الأخ عدم الاختلاط فيما بينهم فكل واحد يحذو حذو جنسه ولا يجب أن ينحرف عن مساره.

أما القاعدة الثانية في العلاقات الشخصية بين الإخوة الكبار والصغار فهي تتمثل في الخضوع اللامشروط من هؤلاء إلى هؤلاء إلى هؤلاء (Amar abdersak, فمادام الأكبر سنا في الحياة، الأصغر يكون دائما خاضعا له، وذلك باعتبار الأخ الكبير هو المسؤول عن تحمل أعباء الأسرة بعد الأب، فقد تجد الابن الأكبر يقوم بالكثير من الأعمال لصالح الإخوة الأصغر منه الشيء الذي يزيد من احترامهم له، فمن أهم المزايا التي تمتع بها الأطفال الصغار في الأسرة تعلم أساليب الحياة وطرق مواجهة المواقف المختلفة عن طريق الإخوة الكبار إذ يأخذ ذلك شكل المعلومات المالية في أساليب مواجهة مشكلات الحياة. (عمود حسن، 1981: 250)، وفي هذه الحالة تكون هناك فرصة أمام الصغار لاستخدام إخوانهم وأخواتهم كنموذج لتعلم الدور الاجتماعي الواجب إتباعه في هذه الحياة.

وتبعا لهذا الوضع يتمتع الأكبر سنا بقوة وسلطة أعلى من تلك التي يتمتع بها الإخوة الآخرون، الشيء الذي يبين ما لعامل السن من دور في تمييز العلاقة بين الإخوة. ولكن بالرغم من هذه العوامل المحددة والمنظمة للعلاقات بين الإخوة - عاملا السن والجنس - فهي لا تخلو من مظاهر الصراع والغيرة والمنافسة، حيث نلاحظ أننا نلاحظ كثيرا من التنافس والصراع بين الإخوة في الأسرة الواحدة خاصة إذا كانوا في أعمار متقاربة، التجمع في نفس الأماكن العامة التي تؤدي إلى انتزاع الحرمة بينهم، الأمر الذي يعتبره مكروه بين الإخوة في الأسرة الجزائرية، لذلك وفي مثل هذه الحالات وفي "حالات الصراعات تتدخل الأم حيث أنها تستفيد من السياق العاطفي إذ هي التي تعلم تدريجيا أبنائها نماذج السلوك والتفاعلات والعلاقات الضرورية في الحياة الاجتماعية والتي تسمح في نفس الوقت لتجنب قدر أكبر من الصعوبات وتؤمن إرضاء الحاجات وتسوي الصراعات.

هذا التعليم يعتبر أساس التنشئة الاجتماعية للأفراد التي تؤمن الدمج المجدد للبناء الاجتماعي الثقافي والهدف من تدخلات الأم هو إقامة علاقة ديناميكية بين أبنائها والتظاهر الاجتماعي". (Medhar. Slimane, 1988:77)، الأمر الذي يساعد على تقنين العلاقة بين الأخ وأخيه داخل المنزل العائلي وخارجه.

مما سبق يمكن استنتاج ما يلي أن العلاقة التي تربط بين الإخوة في الأسرة الجزائرية هي انعكاس لطبيعة العلاقة بين الأبوين وأبنائهما ونتيجة لظاهرة التمييز بين أفرادها من ناحية السن والجنس.

د- التفاعل الأسري وأخذ الأدوار: للتفاعل الأسري أهمية قصوى على الأفراد لاسيما في تعلمهم أساليب الحياة واكتسابهم الأدوار الاجتماعية المطابقة لعقلية وطبيعة مجتمعاتهم، وعلى هذا فكل دور يقوم به فرد من الأفراد يعتبر خلاصة لأهم المعايير الاجتماعية والثقافية المكتسبة من خلال تفاعله مع أفراد أسرته.

وعن طريق التفاعلات التي تحدث في الحياة اليومية للأسرة الجزائرية، يلاحظ تعلم معظم أفرادها الأدوار المناسبة لوضعيتهم الأسرية والاجتماعية والبيولوجية، والتي سيؤدونها عند مواجهتهم للمواقف الاجتماعية المختلفة.

فالمرأة ونتيجة للتفاعل الطويل الذي تقيمه مع جماعتها النسوية داخل المنزل العائلي تتعلم أهم مميزات الدور الذي يجب أن تقوم به في حياتها الاجتماعية فهي تعرف أنها يجب أن تكون جميلة عفيفة وفاضلة، كما يجب أن تكون لها سيرة حسنة - الاحتشام والتواضع في الھندام- ومعلومات متنوعة عن الأشغال المنزلية وبطبيعة الحال أن تكون خصبة، لأن الأنثى ينتظر منها تأمين وسائل الإنتاج التي يحتاجها المجتمع أي بمعنى الطاقة الإنسانية.

وإذا ما تزوجت المرأة فإن دورها ينحصر في الاستجابة لشرطين اثنين: الأول هو عدم تشويش دينامية الجماعة التي ستعيش فيها، وهذا الشرط يكون ملبى على الأقل أثناء مرحلة معينة، أما الثاني فيتمثل في النظام الاجتماعي لأبنائها وهذا ما

تحرص عليه كثيرا. (Medhar. Slimane, 1988:121). 'قدور الأمومة إذن يؤمن عمليتين متكاملتين تجديد النظام الاجتماعي وتجديد الجماعة العائلية. بصفة عامة فإن منبع تقييم المكانة النسوية في الأسرة الجزائرية يتمثل في إنجازها لهذا الدور (Medhar. Slimane, 1988:92)، وإذا كان دور المرأة يظهر على الشكل التالي فإن دور الرجل يتمثل في إعالة أسرته والإنفاق على زوجته وأطفاله والمحافظة على تماسك الجماعة والدفاع عنها في حالة الاعتداء وذلك يمنع كل مس يمكن أن يصيب الأشخاص أو شرف الجماعة.

وبشكل عام ما يتتظه المجتمع من الذكر هو المشاركة المبكرة في نشاطات الإنتاج. فعندما يكون الرجل قادرا على تحمل مسؤولية أسرته على جميع الأصعدة فهذا يعني في نظرة المجتمع أنه استطاع أن يلعب دوره جيدا.

وبناء على هذا يتمتع سيد العائلة بمكانة مرموقة في سلم الاحترام العائلي بحيث لا يجب التعقيب أو إعادة النظر في كل ما يقوم به أفعال سلوكات.

مما سبق يتبين بأن أدوار الرجال تتلخص في مزاولة الواجبات المهنية والحرفية التي تمكن العائلة من الحصول على معيشتها ورزقها كالقيام بأعمال الزراعة والصناعة والتجارة والحدادة والحياكة والنسيج والقيام بالأعمال والوظائف المهنية الأخرى كالتعليم والحمامة والطب... الخ.

أما الأعمال المنزلية التي تحتاجها العائلة كالتنظيف والطهي والخياطة والعناية بالأطفال وبشؤون ومتطلبات البيت فتدخل في إطار أدوار النساء (إحسان محمد الحسن، 1985: 51-54) الشيء الذي أكدته التحقيق الذي قامت به الفيدرالية الفرنسية لمدارس الأولياء والمربين بفرنسا سنة 1985: « la fédération nationale des écoles des parents et des éducateurs ». حول عينة ممثلة للعائلة الفرنسية قدرت ب 1300 عائلة فيما يخص الأشغال المنزلية إذ ظهرت النتائج على الشكل التالي: الأم 18%، الأب 1% بالنسبة للعلاقة مع المعلمين الأم 57%، أما الأب 9%.

(Martin segalen, 1981: 227)، من هذا نلاحظ التمييز الواضح للدور الذي يلعبه كل من الرجل والمرأة بحيث لا يسمح لأي منهما أن يقوم بعمل آخر، فالرجال لا يقدمون بالمساعدة لنسائهم في إدارة الأعمال المنزلية لأنهم يعتقدون بأن أعمال البيت هذه أعمال وضعية لا تليق بهم لأنها تحط من قدرهم وكرامتهم، وهذا الاعتقاد متأني من طبيعة المنزلة الاجتماعية العالية التي استمتع بها الرجال والمنزلة الواطئة التي تشغلها النساء في المجتمع.

ما يلاحظ في تنشئة الأفراد من كل الجنسين في الأسرة الجزائرية أنها تعمل على هيئة عاطفتهم، اتجاهاتهم، استعداداتهم بصفة تؤدي بالمرأة إلى إتباع الحياة في الداخل وتكون خاصة، وأما الرجل فيميل كي يتبع الحياة في الخارج وتكون عامة. فقانون السلوك ونظام القيم يملئ انسحاب النساء من الساحة الاجتماعية إلا أنهم يعملون على تأمين نقل المبادئ للأجيال الناشئة في كل المستويات. الوجه الرسمي يخفي أبعاد غير رسمية معتبر، فالقرارات التي تصرح مثلا من طرف الرجال تخضع وترسخ من طرف النساء" (Medhar. Slimane, 1988:144- 145)، وبهذا نلاحظ تلك السيطرة غير مباشرة الرجل من طرف المرأة -زوجته- فقد تجعله هذه الأخيرة يعتقد بأنه المسيطر إلا أن في الحقيقة هي التي تملك زمام السيطرة الفعلية عليه ومن هذا يمكن القول أن الأدوار الاجتماعية الثقافية النسوية هي المسيطرة الأكثر في مجتمعنا.

وعلى هذا الأساس فالدور الذي يلعبه كل فرد من أفراد الأسرة وكذلك الحدود الذي يستطيع التحرك في إطارها عند قيامه بهذا الدور، تتبع مباشرة من مدى التخصص الذي تحدده له وظيفته ولا شك أنه بمقدار ما هناك من تحديد للدور الذي يقوم به الفرد بمقدار ما نتوقع من تحديد لأنماط سلوكه وسمات شخصيته، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يتوقف مدى تحيد هذا الدور الذي يقوم به الفرد على نوع الثقافة التي تكتنفه (عماد الدين إسماعيل، 1974: 297) فشعور الأفراد بعدم الأمن المادي مثلا يجعلهم يقومون بأدوار معينة للوصول

بسهولة وبسرعة لإرضاء حاجاتهم ويكون ذلك بإقامة علاقات غير رسمية وهذه الأخيرة لا تحدث إلا إذا كان المعنيون بالأمر يخضعون لنفس الشعار. الجدير بالذكر أن العلاقات والتفاعلات الاجتماعية تحدث حسب النموذج الرسمي في حين أنها تخفي علاقات معاشة (مجربة من قبل) ومنشطة تحت النموذج غير الرسمي" (Medhar. Slimane, 1988:141-142)، بعد هذا تجد شعور آخر يتمثل في الخوف من التهديدات الخارجية أو من كل شيء يكون مصدره من الخارج. إذ يمكن ملاحظة الكثير من الأفراد يقومون بأدوار اجتماعية سلبية نحو الخارج، وحتى لا يتعرضوا للأذى والمتاعب تراهم يتهربون من المشاركة في كل ما هو عام لا يستجيبوا لنداء ولا يخطرطوا في نشاط ولا يساعدوا في شيء يعود بالخير والمنفعة على الآخرين والصالح العام. وفي هذه الحالة يحدث نوع من الانشطار العاطفي في نفسية الفرد والتي تظهر جليا في الأدوار التي يقوم بها في حياته اليومية. إذ كل الشر والخطر والسوء، كل العقابات والموانع الذاتية الموضوعية، كل العدوانية الذاتية المقموعة والمتراكمة تسقط على الخارج مما يؤدي إلى تبخيسه تماما وأما العواطف الإيجابية فتتوجه إلى الداخل أي إلى النموذج الذي يجب أن يهتدي به. (مصطفى حجازي: 1984: 115).

ما يمكن استنتاجه في الأخير هو أن الأهداف المراد تحقيقها عن طريق الأدوار الاجتماعية في الأسرة الجزائرية ليس بالضبط تفتح الأفراد، لكن الاستجابة لشروط الجماعة العائلية (Medhar. Slimane, 1988:86-87)، فالأفراد ينظر إليهم كأدوار وليس كأشخاص مستقلين في أنفسهم قادرين على بناء علاقاتهم سواء أكانت تربوية أو اجتماعية بالطريقة التي يرونها أفضل والمجوع لهم ولغيرهم.

قائمة المراجع:

- 1- عماد الدين إسماعيل، كيف نربي أطفالنا، التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة العربية، دار العربية، 1974.

- 2- سناء الخولي، الزواج والعلاقات الأسرية، دار المعارف الجامعية، 1985.
- 3- كمال المدرسوقي، النمو التربوي للطفل والمراهق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، 1979.
- 4- زهير حطب وعباس مكين، السلطة الأبوية والشباب، معهد الإنماء العربي، 1985.
- 5- معن خليل عمر، التمايز والتنمية الاجتماعية، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1980.
- 6- مصطفى الخشاب، دراسات في الاجتماع العائلي. دارا لنهضة العربية للطباعة والنشر، 1975.
- 7- عائشة أحمد نحوي، الآثار الإكلينيكية المترتبة على الصراع بين اتجاهي التنشئة التقليدية والحديثة لدى المراهق الجزائري، مصر 1990.
- 8- مختار حمزة، مشكلات الآباء والأبناء، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1959.
- 9- محمود حسن، الأسرة ومشكلاتها، دارا لنهضة العربية، 1981.
- 10- إحسان محمد الحسن، العائلة والقرابة والزواج، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1985.
- 11- مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي وسيكولوجية الإنسان المقهور، معهد الإنماء العربي، 1984.

12- Camilleri. C; Jeunesse famille et développement, Essai sur le changement socio-culturel dans un pays du tiers monde (Tunisie), paris, Edition CNRS, 1973.

13- Zerdoumi. N; Enfant d'hier, l'éducation de l'enfant en milieu traditionnel algérien. Paris. V. François maspero, 1982.

14- Geuvois.H; Education familiale en Kabylie F.D.B. N° 89 for nationale, 1966.

15- Ammit.K; changement sociale et situation de la femme au Maroc, l'avenir de la famille au moyen orient en Afrique du nord, université de Tunis U.N.E.S.C.O, Paris 1990.

16- Amghar.A; la famille Algérienne devant les problèmes sociaux modernes. Institut des belles lettres arabes, I.B.L.A. non date.

17- Demmerseman.A; la famille tunisienne et les temps nouveau. Tunis, maison tunisienne de l'édition, 1967.

18- Medhar. S.D; de l'individu au citoyen: les entraves a la réalisation de développement en Algérie (Thèse de doctorat d'état, paris, V 1988).

19- Chelli.M; l'avenir de la famille au moyen orient et Afrique du nor. Université de Tunis U.N.E.S.C.O, Paris 1990.

20- Descoloitres.R; Debzi.L; système de parent et structures familiale en Algérie C.N.E.S.C.O; Paris 1990.

21- Mekideche T; la rue espace de jeu en Algérie, Ezzanka (thèse de doctorat 3 cycle, Paris V, 1985).

22- Segalen. M; sociologie de la famille. paris, Armond colin, éditeur, 1981.

23- Ammar.A; l'éducation traditionnelles a travers les proverbes, l'avenir de la famille au moyen orient et en Afrique du nord. Université de Tunis U.N.E.S.C.O, Paris 1990.